الهدف

دون دعم «الحشد الشعبي». وفي الوقت نفسه، هي مضطرة لأخذ مصالح ونفوذ واشنطن هناك بعين الاعتبار، ولعدم المس بمصالحها، لتتمكن من الحصول على حصة سياسية واقتصادية في هذا البلد. مدير وكالة الأمن القومي الأميركية يقول: «العدو الأشرس لأميركا هو روسيا، وليس داعش الذي لا يملك الإمكانات المتوفرة لروسيا».

الولايات المتحدة تضع جملة من العراقيل السياسية والعملانية، لمنع «الحشد الشعبي» من التقدم أكثر على الأرض، ومن لعب دور أساسي في دحر «داعش»، وتحاول تصويره عائقاً أمام العمليات ضد التنظيم، بالتزامن مع ضغط بعض القوى عليه بذريعة منعه من الاحتكاك بالكرد. لكن استهلاك بعض قوة «الحشد» في معارك الأنبار وصلاح الدين وديالا، لن تمنعه من الرد على وقف تقدمه نحو الموصل، على الأغلب في كركوك والفلوجة. ثم التحول إلى قنبلة سياسية وشعبية تنفجر في وجه الحكومة والقوى الأساسية. «الحشد» الذي يتصدى للمشروع الأميركي في العراق، يعترض على أي دور لواشنطن هناك، ويشكك في نواياها وأهدافها. وحرصه، وحليفته طهران، على دور لإيران في الموصل، يتعارض مع تحضيرات الأميركيين، ويتصادم مع أهدافهم. فهدفهما، من وراء السعي لدخول الموصل، منع تفكيك العراق إلى أقاليم، والمس بصدقية التحالف الدولي في مواجهة الإرهاب، ووقف اندفاعة الكرد نحو توسيع رقعة سيطرتهم الميدانية، والحد من جنوح بعضهم نحو الانفصال. والأهم، هو الإمساك بالحدود مع سوريا من جهة الموصل، لحماية ظهر الجيش السوري، ومنع «داعش» من التواصل، والحد من قدرة الأميركيين والأتراك على استخدامها ضد سوريا، برغم الحديث عن رد فعل تركي عسكري محتمل، في حال تقدم «الحشد الشعبي» بدعم إيراني نحو الموصل، وما يمكن أن ينجم عنه من انزلاق إلى مواجهة إيرانية تركية. وربما، تعرض التحالف الدولي لهذه القوات بالقصف، ومخاطر الانجرار إلى مواجهة أميركية إيرانية، في الساحتين العراقية والسورية، وربما أبعد منهما. التخلي عن دور لطهران و«الحشد» في معركة الموصل، بعد إنجازاتهما ضد «داعش» والإرهاب، سيشكل مأزقاً للحكومة العراقية ولمكوناتها الشيعية.

في ظل هذا التنافر والتشتت، تبدو معركة الموصل مهمة صعبة، مزدحمة بالتباينات، وغياب المصالحات والتوافقات السياسية، بين الأطراف المحلية والإقليمية والدولية، المعنية بالعملية، وشكوك كل طرف في نوايا الأطراف الأخرى. إضافة إلى صعوبة التنسيق بين القوات المختلفة، والتوليف بين خططها العسكرية. ويضفي التباطؤ في بدء العملية، الشرعية على أهداف ومخططات القوى المتصارعة «المتحالفة» ضد داعش. وربما يوفر بعض هذه القوى المبررات لتدويل الأزمة، بالتوازي مع إمكانية أن يؤدي غياب الضمانات، لتجنب تكرار السيناريو الليبي في مناطق داعش، إلى فرض الوصايات الدولية على العراق. في حين أن قتال «داعش» في الموصل ليس جولة حرب عادية، نظراً لما يتمتع به التنظيم من قدرات وخبرات ودوافع، وهزيمته عسكرياً، لا تعني، بالضرورة، نهايته.

* صحافي لبناني

من كرامتي

الحياة إلا بها».

جعل الشيخ النمر حياته مطابقة تماماً لمفهوم الكرامة. جعل جذع جسده شجرتها، وكلماته جذورها، ورأسه كل غصونها. لم يملك شيئاً منه ليتصرف فيه، فقد تملكته الكرامة بكلها، لم يسلبها أحد منه فقد ظلت معه حتى آخر نفس له وهو يصّاعد إلى السماء، ولم يتنازل بها لأحد على الرغم من كثرة الرسائل الملحة عليه، فكان لسان حال جوابه دوما: اسألوها [الكرامة] هل أملك حق التصرف فيها؟ ومع كل سؤال كانت تزداد صلابة وعناداً في التمسك به، وحين يقترب الموت من حياة النمر، كان يبتسم له ويقول له: لا تهددني، فلا قيمة لحق الحياة إلا بها.

لقد أرادوا النيل من كرامته في كل مرحلة من مراحل التحقيق معه، فلم يظفروا بشيء منها، في المرحلة الأولى، التحقيق المسجل بالصوت والصورة، كان اثنتي عشرة جلسة تقريباً، عشر جلسات في مستشفى الظهران العسكري وكان مقيداً ومكبل اليدين لمدة أسبوعين كاملين، وجلستان في زنزانة مستشفى قوى الأمن الداخلي. وكان مكبلاً ومقيد الرجل اليمنى بالسرير لمدة شهرين كاملين. وكانت تستغرق جلسة التحقيق من الساعة ونصف إلى الساعتين تقريباً.

وفي المرحلة الثانية، كان التحقيق المدون في مذكرة التوقيف وكراسة التحقيق، وكان في ثلاث جلسات، وبدأت الجلسة الأولى بعد منتصف الليل إلى قبيل أذان الفجر.

وفي المرحلة الثالثة، كان التصديق على الاعترافات، والتي لم يعترف بها في الواقع، لكن المحقق قال هذه خلاصة ما جرى من التحقيق معك، وعليك أن توقعها.

ستذهب لائحة الدعوى التي أعدت من هذه التحقيقات في ست عشرة صفحة إلى مزبلة تاريخ العدالة المزيفة، وستبقى مرافعة الشيخ النمر ضدها تاريخاً جديداً للكرامة الإنسانية التي خطها الشيخ الشهيد بدمه وحبره.

* كاتب من البحرين

** جميع الاستشهادات مقتبسة عن نص مرافعة الشيخ نمر النمر. انظر: الشيخ باقر نمر النمر، مرافعة الكرامة، مرآة البحرين ومركز كيتوس، إبريل2016.

عن حرب المؤسسة الصهيونية الحاكمة على «بي دي أس»

حيدر عيد *

أجمعت القيادات الإسرائيلية من يمينها إلى أقصى يمينها، في خضّم سلسلة التحريضات المتطرفة المتتالية ضد حركة المقاطعة وعدم الاستثمار وفرض عقوبات على إسرائيل، «بي دي اس» ذات القيادة الفلسطينية، على رأي واضح وصريح ألا وهو ضرورة القضاء على الحركة قبل أن تتمكن من تحقيق أهدافها المتمثلة في الحرية والعدالة والمساواة. واتفق هؤلاء على أن «بي دي اس» تعتبر «خطراً استراتيجياً» على نظام إسرائيل الاضطهادي المركب من احتلال واستعمار وأبارتهايد، وهي سياسات تم تبنّيها من قِبل المؤسسة الحاكمة الصهيونية في إسرائيل منذ إنشاء الدولة.

وفي مؤتمر رعته صحيفة «يديعوت أحرنوت» اليمينية بتاريخ 2016/3/28 تحت عنوان «أوقفوا بي دي اس» قام كل الوزراء والقادة اليمينيين والمتطرفين، باستخدام لغة تحريضية لا شك أنها مألوفة جداً للمناضلين ضد الأبارتهايد في جنوب أفريقيا.

وكان وزير الداخلية آرييه ديري قد دعا إلى طرد بعض نشطاء المقاطعة من فلسطين بحجة أنه: «لا يمكنك إعطاء خدك الأيسر لمن يصفعك على خدك الأيمن». أما أخطر تهديد فقد جاء من وزير الاستخبارات يسرائيل كاتس الذي استخدم لغة غامضة لإرسال رسالة إرهاب إلى نشطاء المقاطعة الفلسطينيين والعالميين قائلاً: «من الأفضل لكم إيقاف بي دي اس وإلا

> **كان عليّ أن أحارب بوعيٍ تامٍ إمكانية أن أتحول إلى مجرد رقم**

فإننا سنقوم (باغتيالات مدنية)». وأضاف موضحاً: «يجب أن نعمل على فضح الجهات الفاعلة، الأشخاص، النظام، الآليات، وصلاتهم بالمنظمات التي تخطت بالفعل عتبة النشاط العسكري والإرهابي، وقطعاً من خلال هذا نستطيع التصدي لهم والقيام بعزلهم ونقل المعلومات إلى وكلاء الاستخبارات في جميع أنحاء العالم. يجب أن نعلم أننا هنا في مواجهة معركة تحت غطاءات عديدة».

إن ما سبق يطرح أمامنا السؤال التالي: ما الذي يعنيه لنا هذا كنشطاء مقاطعة، وخاصة هنا في فلسطين؟

إنني شخصياً أعيش في غزة المحاصرة، وكنت شاهداً على ثلاث حروب شنيعة ارتكبتها إسرائيل بحق القطاع. وكنت على وشك أن أفقد حياتي أكثر من مرّة، لكني فقدت رفاقاً مقرّبين، زملاءً، أقاربَ، وطلاباً. وكباقي أبناء قطاع غزة الصامد عشت صدمة نفسية لا تصفها كلمات بعد أن رأيت الرعب بكل أشكاله. فضلاً عن أنني مُنعت من حضور جنازتي والدي ووالدتي، وحُرمت من رؤية شقيقتي وأبنائها منذ أكثر من 16 عاماً حتى اليوم، رغم أنهم يقطنون في بيت لحم التي تبعد مسافة ساعة واحدة بالسيارة من هنا، وأعيش، كباقي أبناء القطاع المحاصر، ظروفاً حياتية صعبة بلا كهرباء ولا مياه صالحة للشرب منذ 2006.

وإنني كشخص رأى مذبحة أطفال عائلة بكر على شاطئ غزة وفي وضح النهار، وقرأ بمرارة أسماء أفراد 66 عائلة مُسحت من السجّلات المدنية بعد إبادتها بشكل كامل بالأسلحة الإسرائيلية، كان عليّ أن أحارب بوعي تام إمكانية أن أتحول إلى مجرد رقم في تقارير إخبارية غربية لا يهمها سوى الأرقام إذا كانتَ الضحيّة فلسطينية!

إن 2200 إنسان من بينهم 551 طفلاً في عام 2014، ومثلهم 1200 إنسان من بينهم 443 طفلاً في عام 2009، بالإضافة إلى 200 إنسان في عام 2012، لم يحالفهم الحظ مثلما حالفني، وكانوا ضحايا الآلات الحربية الإسرائيلية ومؤامرة الصمت الدولية.

والآن، وبعد كل ذلك، يأتي من يخبرني، وبسبب مطالبتي اللاعنفية بمسائلة إسرائيل، وهذا ما تفعله «بي دي اس»، وعلى الرغم من فشل المجتمع الدولي في تحميل إسرائيل مسؤولية جرائم الحرب وجرائم ضد الإنسانية، إنني وزملائي معرّضون «لاغتيالات مدنية»، ما لم نكن عبيداً مطيعين مثل العم توم الأميركي «الأسود» لدولة إسرائيل «الديموقراطية».

فما الذي فعلناه نحن نشطاء المقاطعة حتى يصل قادة إسرائيل إلى حافة الجنون الذي أبدوه في مؤتمر «يديعوت احرنوت» آنف الذكر؟ فبعد كل ما مررنا به من مآسي وظلم وقهر منذ عام 1948 حتى اليوم، هل يعتقد نظام الأبارتهايد الإسرائيلي حقيقة أننا سنتراجع عن أنبل ظاهرة نضالية مارسها الشعب الفلسطيني؟ هل أبدى أي قائد من الحركات المناهضة لنظام الأبارتهايد والمقاومة للاستعمار أي ضعف في مواجهة تهديدات شبيهة؟ هل أوقف ملايين الجنوب أفارقة والسود في أميركا والهنود نضالهم ضد العنصرية واللامساواة والاستعمار عند تعرضهم لتهديدات شبيهة؟

لا لم يفعلوا!

بل إن التاريخ خلّد ألمع الأسماء في التاريخ المعاصر، مثل المهاتما غاندي ونيلسون مانديلا وستيف بيكو ومارتن لوثر كينج وروزا باركس. وكان أيقونة النضال المدني ضد الاستعمار البريطاني المهاتما غاندي قد أخبرنا أنهم «في البداية يتجاهلونك، ثم يضحكون عليك، ثم يحاربونك، ثم تنتصر».

وبالنظر إلى إنجازات المقاطعة في العشر سنوات الأخيرة حتى اليوم، نستطيع أن نقول إننا الآن ننتصر.

فكما قال لنا أيقونة النضال ضد الأبارتهيد العنصري نيلسون مانديلا: «إن حرية جنوب أفريقيا لن تكتمل إلا بحرية الفلسطينيين» وغني عن الذكر أنه كان سيُعتقل، إن لم يتعرض للاغتيال، لقوله شيئاً كهذا في إسرائيل اليوم.

ولا يغيب عن ذهني ستيف بيكو، مؤسس حركة الوعي الأسود.

إن رجال التحقيق العنصريين الذين قاموا باغتياله لا يسمع بهم أحد لأنهم ببساطة حجزوا مكاناً لهم في مزبلة التاريخ، وهي نفس المزبلة التي يرقد بها آرئيل شارون، مناحيم بيغين، اسحاق شامير، اسحاق رابين، وموشيه ديان، وقريباً كل أولئك الوزراء وقادة المعارضة الصهاينة الذين يعتبرون أن مطالبتنا بتطبيق الحرية والمساواة تشكّل «خطراً وجودياً» على دولة إسرائيل.

إن المأساة الحقيقية لفلسطين ما بعد أوسلو لا تكمن في أن الغالبية الساحقة من الفلسطينيين لم يتم سؤالهم إذا ما كانوا يريدون حقاً حكماً ذاتياً إدارياً محدوداً، بل أنهم حُرموا من استخدام أدوات للتفاوض حول خلق واقع جديد يتخطى الأمر الواقع الذي فرضه الاحتلال. ألم يصبح من الواضح وضوح الشمس أن نظام الفصل العنصري الإسرائيلي قام بالتوقيع على اتفاقيات أوسلو وقدم لنا «حكماً ذاتياً محدوداً» لأن هذا لا يكلّفه شيء؟

من هنا تأتي أهمية حركة «بي دي اس»، والتي تعبّر عن تصميمنا على تطوير خطابنا الفلسطيني، ورغبتنا في تحقيق العدالة والمساواة. بكلمات أخرى، إن ما يحرّك «بي دي اس» هو رغبتنا في تحرير عقولنا من سرطان الاستعمار، ومن فيروس أوسلو، في طريقنا للوصول إلى التحرير بعيداً عن هلوسة «الاستقلال» التي تتصّدر الواجهة.

وإن الادّعاء بأن النضال من أجل العدالة والمساواة هو معاداة للسامية، لا يختلف شيئاً عن الادّعاء بأن مانديلا كان عنصرياً مثلاً، أو أن غاندي كان عنيفاً! ومن هنا، فإن خياراتنا كنشطاء مقاطعة مفتوحة على احتمالين: إما السير على خطى بيكو ومانديلا وغاندي وباركس وكينج، أو اتخاذ قادة البانتوستانات سيئة السمعة مثل منجسوثو بوتيليزي ولوكاس مانجوبي قدوة لنا.

وخيارنا واضح، لأنه الخيار الوحيد الذي سوف يقودنا نحو تحرير فلسطين، وتحقيق السلام والعدل لكل سكانها.

* مستشار سياساتي في شبكة السياسات الفلسطينية «الشبكة»، وأستاذ جامعي في جامعة الأقصى -غزة